تحت الماء

يتمنى كثيرون لو ان ماء البحر يجف الى حين حتى يروا ما فيه من الغرائب او حتى يستردوا منه ما سلبه اياهم من قديم الادهار لان هذا في الحقيقة اجل من تلك الغرائب واكثر نفعا للانسان بل هو أثمن مما على اليابسة من كل كنوزها وخباياها لان ما على الارض انما هو لاهلها على كل حال ونحن الان نظفر منها بالذي خبأه الاولون من قديم الدهر وسيظفر اعقابنا بالذي ندفنه نحن او نفقده واما الذي سرقه منا البحر فقد عد في حكم الميت الذي لا يعود اذ قد اغلق دونه كل باب وختم عليه بخاتم الابدية

الا ان العلم الذي امتد في هذا العصر حتى وصل الى نائيات الكواكب واعماق البر والغمر قد تنبه الى تلك المدفونات البحرية فحام حولها يريد استرجاعها وكان له من مستحدثات الغوص خير معين للظفر بما يريد ولعله بعد قليل يسترجع كل ما اخذه البحر وقد ينتقم منه فيسرق من نفس ممتكاته اضعاف ماسرق

اما اهم تلك المسروقات التي يغوص لها الان الانسان الى الاعماق لاستردادها فاموال وجواهر نفيسة تقدر قيمتها باكثر من مئة وعشرين مليون جنيه وقد غرقت مرة مع اسطول اسبانيولي في نواحي اميركا ولا تزال مدفونة للان ولكن شركة قد تألفت لردها وهي الان تسترد الشيء الشيء وهو ليس بالقليل ولعلها تظفر بكل المنشود. وقد كان ظهور نجاحها هذا سببا لتنبيه الى سائر الكنوز فاخذوا الان يحاولون استردادها بكل سبيل وكان في اخر

ما عمدوا اليه استرجاع مفقودات سفينة من اسطول اسبانيولي قرب اسكوتلاندا فانهم بدأوا بذلك من عهد قريب واسترجعوا اشياء كثيرة من سلاح تلك السفينة وبعض موجوداتها النفيسة جارين بذلك على آخر مستنبطات الغوص واقربها الى النجاح وهم يؤكدون الظفر بكل مفقود منها لانه حين لم يكن الغوص سهلا في سنة ١٨٨٥ تمكنت احدى شركات الغوص من استرجاع سبعة صناديق ملأى بالذهب والجواهر وهي تسوى سبعين الف جنيه وقد كان استرجاعها من احدى جزائر كناريا عن عمق ١٦٢ قدما الا انه لا يزال مفقوداً منها للان ثلاثة صناديق فيها ثلاثون الف جنيه وقد بذل من اجلها غاية الجهد فما امكن الظفر بها

ثم ان الغوص على الاشياء المفقودة كثيراً ما يأتي بفائدتين اذ يظفر بالشيء المقصود ويظفر معه بمفقودات لم تكن مقصودة او لا يوجد المطلوب فيوجد سواه اجل منه وقد ذكروا من ذلك شيئا كثيراً يدل على عظم ما ينال من طرق الغوص الجديدة ويبشر بان كل ما سرقه نبتون اله البحر سيسترده اله اعظم منه وهو الانسان اله البر وقد ينتقم منه كما قلنا فيأخذ غير ماله من موجودات البحر ذاته كما يأخذ منه المرجان واللولؤ وسائر النفائس البحرية مما لو حسب مقداره منذ عهد الانسان به لكان اغلى بكثير مما اخذه البحر لولا انه أخذ معه ارواحا عزيزة لا تثمن ولذلك لابد من الاخذ منه اكثر مما سرق من قبيل الانتقام لتلك الارواح البريئة وهي تعد بعشرات الملايين

الا انه ليس كل ما اخذه نبتون يمكن استرجاعه لان كثيراً من السفائن قد غرقت حيث لا يبلغ انسان وهذه الدارعة فيكتوريا التي غرقت قرب

طرابلس الشام من نحو ١٥ سنة لا تزال مدفونة في اعماق ذاك اليم مع انها وحدها تسوى مليون جنيه وفيها من النقود خمسون الفا وانما امتنع استرجاع ذلك لشدة العمق وعدم استطاعة الغواصين كثرة البقاء فيه ثم ان للبحر قوى شديدة يدفع بها سارقيه عنه كما يدفع ملحه عن مائه وهي اسماكه الكبيرة ولاسيما النوع المسمى بكلب البحر فانه شديد العداوة للانسان حتى ندر ان ينجو منه سابح او غائص ولكن الغواصين لا يبالون به لما يلبسونه من الثياب الواقية وما معهم من الاسلحة ولذلك بات يخافهم اكثر مما يخافونه . الا انه قد بقيت هناك مقاومة من الشيء المفقود نفسه ومن العمق ولكن هذا تبلغ الحيلة بهم الى اجتيازه واما المفقود فقد تتراكم عليه الرمال والاحجار او يغوص هو لثقله في الرمل ويتشتت فلا يعلم بمكانه ولكن الدرجة التي وصلوا اليها الان لاستخراج المفقودات تعد على كل حال ذات نجاح عظيم ويقال ان الغائص يستطيع البقاء في الماء نحو ثماني ساعات بلا انقطاع وقد حدثوا عن رجل كانت صناعته الغوص ان اكثر ايامه كان يقضي في الماء ولكنه عاش سبعين سنة